حديث رمضان :

صمت وأصوم . . . !

للأستاذ خلف القاضى
مدرس بالمدارس الثانوية الأميرية

صمت ، لأنى مسلم ، ونشأت فى بيت مؤمن محافظ . . .

وأصوم ، لأن فى لياليه الجميلة ، يحيا أدب الفرقان ، وتقوى الصلات ، وتجدد الأواصر بين العشائر والأسرات . . .

* * *

صمت ، لأن فيه مساواة بين الرجال والنساء ، وعدلا بين المترفين والفقراء وديمقراطية مع الأحرار والأرقاء . . .

وأصوم لأن رمضان ، أشق عمل يؤديه الإنسان ، وأنبل فضيلة قررها الدين ، مع الزكاة . . .

* * *

صمت ، لأن فى الحمية غذاء للروح ، وصفاء للنفس ، وراحة للبطن . . .

وأصوم ، لأن فى الحرمان امتحانا لضبط النفس ، وقهرا لمشبوب العاطفة . وحدا من عنفوان الشباب . . .

* * *

صمت فى نهار يوليو المديد ، وسوف أصوم فى يوم يناير القصير ، لأنه يساير الفلك ، ويدور مع الفصول والأعوام . . .

وأصوم فى بلاد العرب الحارة ، وفى جو اسكتلاندة البارد أو مناخ كليفورنيا المعتدل . . .

صمت ، لأن الحاكم العسكرى ، قال لى : قدم ساعتك صيفا ، وأخرها شتاء ، فتحيرت ، واستمعت لقول الله « ثم أتموا الصيام إلى الليل ، فأطعت .

وأصوم لاتفاق المسلمين فى الشرق والغرب على موعد الصيام ، فأنا أصوم ، حيث أشهد الهلال ، أو يكمل العد من شعبان . . .

* * *

صمت ، لأن الصائمين جميعا كأنهم — حين يسمعون الأذان — أسرة واحدة على مائدة الافطار . . .

وأصوم لأن التشريع أباح لى الفطر عند السفر ، وحين المرض ، ورخصه يوم الروع — خلف المدفع فى ساحة القتال . . .

* * *

صمت لمزية البر باليتيم ، والعطف على المسكين ، والإحسان إلى المنكوب والمنبوذ . . .

وأصوم ، لأن أداءه مثوبة عظيمة ، والعجز عنه عقوبة محببة ، لأن المتهاون فى يومه ، عليه أن يطعم ستين من المساكين . . .

. صمت ، لأن الله رؤوف ببعض عباده فقال:

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

فعرفت أنه رحم الشيخ الكبير ، وأشفق على المرأة العجوز ، وأجرى الخير منهما إلى الفقير والمحروم . . .

وأصوم ، لأن الحرب — وهى أستاذ الاقتصاد — علمتنى قوة الاحتمال فصبرت على طعام واحد من العدس والفول والمخلوط .

* * *

صمت ، لأن وزارة التموين ، شرعت الصيام المدنى فى هذه الأيام السود فحددت الخبز بالدرهم ، والسكر بالجرام والزيت بالبطاقة . . .

وأصوم ، لأن جيوش الأزمة ، احتلت الريف ، وكتائب الغلاء زحفت على الموظفين . والأزمة حليفة الجوع ، والصوم هو الحرمان المشروع . . .

صمت ، لأن التعاليم التى جاءت من السماء ، ما برحت مطابقة لروح الاجتماع ، متمشية وفق سنن الكون فى السلم والحرب ، وفى ظل العيش الرغيد ، أو أيام المحل الشديد . . .

وأصوم ، لأن فى الصوم مرانة على الحرمان فى السنين العجاف ، وتدريبا على الظمأ للمحارب فى رمال الصحراء ، واستعدادا لما تأتى به الحياة من فجاءات السماء ، وتقلب الحدثان . . .

* * *

صمت ، لأن فى الصوم ذكرى لغار حراء ، واحتفاء بعيد ميلاد الإسلام ، وتحية للمبادىء السامية ، التى جاءت مع ابن الصحراء .

وأصوم ، لأن المرسوم العلوى ، الذى صدر فى السماء ليلة القدر ، من رمضان — أعظم بركة على الانسانية ، من ١٤ يوليو أو ميثاق الاطلانطى .

. . .

صمت ، لأن أوله فرحة بالصيام ، وآخره فرحتان . عيد الفطر ، وعيد زكاة الاحسان . . .

وأصوم ، لأنه الفضيلة التى يستحيل فيها الرياء ، فلا رقابة على الافطار ، ولا اشتراك فى أداء الصيام ، فالانسان وضميره والمرء ومولاه . .

. . .

صمت ، لأنه مظهر الروحانية والزهادة ، ورمز الخلاص من آثام المادة ، وتجرد عن الهوى الغوى ، وهدنة للنفس الثائرة ، ورياضة — بين العام والعام — للروح المطمئنة ، واقتراب من الله ، وبعد عن لاحب الشيطان . . .

وأصوم ، لأنى آمنت بالعقل الأول ، والمشرع الأول ، وكأنه ينظر — منذ بداية الأزل ، الى نهاية الأبد — ينظر إلى صوالح الانسان .

. . .

سبحانه ! قدر فأحسن التقدير ، وقضى فأحكم التدبير ! . . .

« ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء »

خلف القاضى